مراكز العلم في جبل نفوسة العهد الرستمي "النشأة والأهمية"

(160-296هـ/ 776-909م)

أ.د علي محمد سميو- كلية الآداب – جامعة مصراته

د. علي حامد الطيف – الأكاديمية الليبية

ملخص البحث:

(يعنى بحث مراكز العلم في جبل نفوسة العهد الرستمي (النشأة والأهمية) 296 – 160هـ / 909 – 776م، بدراسة عدد من تقسيمات مراكز العلم التي لها الفضل في نشر الإسلام، (المدارس، المساجد، المكتبات، وما يضاف لها من حلقات للدرس، وحلاً للمسائل الدينية، فعن طريقها كان لمدن وقرى جبل نفوسة الأهمية والدور الريادي في نشر الإسلام وتطور الحياة الفكرية، كما أن لعلماء نفوسة الفضل في قيام واستمرار الدولة الرستمية، إذ سجلت مراكز العلم أسبقية من حيث النشأة وانتقال العلوم الدينية نافست فيها مراكز العلم في المشرق الإسلامي، وهذا ما يحاول الباحثان أثباته في هذه الدراسة)

كلمات مفتاحية: ((علماء – معالم – اعلام – جبل نفوسة، شيوخ، الدولة الرستمية، قنطرار، المدارس والمساجد)).

Research Summary:

(Researching the centers of learning in Jabal Nafusa during the Rustamid era (establishment and importance) 296-160 AH / 909-776 AD) means studying a number of divisions of the centers of learning that are credited with spreading Islam (schools, mosques, libraries, and the lesson circles added to them, and a solution For religious matters, through it, the cities and villages of Mount Nafusa had importance and a pioneering role in spreading Islam and the development of intellectual life. The Nafusa scholars also had credit for the establishment and continuation of the Rustamid state, as the centers of science recorded precedence in terms of emergence and transmission of religious sciences in which they competed with the centers of science in the Islamic East. This is what the researchers are trying to prove in this study.

Keywords: ((scholars – landmarks – media figures – Nafusa Mountain, sheikhs, the Rustamid state, Qantrar, schools and mosques)).

المقدمة:

شهدت الحياة الفكرية في جبل نفوسة العديد من المتغيرات الجديدة بعد وصول المد الإسلامي في النصف الأول من القرن الأول الهجري، إذ وجهت عناية الأهالي للدراسات الإسلامية، وكان للغة العربية أهميتها في تقديم هذا الدين الجديد، خاصة فيما يتعلق بالقرآن والحديث والسنة النبوية، الحقيقة إن دور أهل العلم في جبل نفوسة لا يقل أهمية بل يفوق بقية الجهود في المراكز الحضارية الأخر، إذ عمل أهالي نفوسة على نشر الدين

الجديد من خلال مراكز علمية عملاً بقوله تعالى "وقل ربي زدني علماً "[1] وقوله: " يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات، والله بما تعلمون خبير " [2].

وفي العهد الرستمي مر جبل نفوسة بالعديد من مراحل نشر الإسلام، ابتدأ من وصول الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى مدينة شروس في جبل نفوسة، مروراً البعثة العلمية في العهد الأموي، إلى انتشار المذهب الإباضي في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، كل هذه الجهود أسفرت عن نشأة مراكز علمية عدة في جبل نفوسة، وقد كانت مثلاً مميزاً وجهداً يفوق كل التقديرات، بل نافست حتى المراكز العلمية في المشرق الإسلامي، وهذا ما تثبته هذه الدراسة، فشملت هذه المراكز المساجد والمدارس والمكتبات، وما تبعها من حلقات للدرس، التي مازالت أطلالها موجودة إلى الساعة، تعود إلى وقت متقدم (القرن الثاني للهجرة 101-200هـ).

وتهدف هذه الدراسة إلى فهم نشأة وأهمية هذه المراكز العلمية، ودورها التنافسي في ميدان العلم لفترة تصل إلى قرنين من الزمن.

وتكمن أهمية الدراسة: في التعرف على أهم المراكز العلمية في جبل نفوسة وإظهار دور العلماء والمشايخ الذين تخرجوا ودرسوا فيها والتعريف بمجهوداتهم وإسهاماتهم في تطور الحياة العلمية والثقافية بجبل نفوسة بشكل عام وإقليم طرابلس الغرب بشكل خاص، ومعرفة مدى تأثيرهم على المنطقة بشكل عام.

فبعد وصول المد الإسلامي إلى بلاد المغرب عامة وجبل نفوسة خاصة، دخلت نفوسة في الدين الإسلامي، وشهدت المنطقة متغيرات شملت مختلف أوجه الحياة، هكذا كانت الحياة الفكرية في مقدمة ذلك الانتقال، الذي يوجه نحو اهتمام أهالي جبل نفوسة بحفظ القرآن الكريم والاعتناء بما جاء في الأحاديث النبوية، صحبها اهتمام ملحوظ بالعلوم والفنون خاصة الدراسات العربية والإسلامية [3].

وفي بداية حديثنا عن موضوع المراكز العلمية في جبل نفوسة العهد الرستمي،لا بد لنا من الإشارة إلى الجهود التي بذلت قبل تاريخ قيام (الدولة الرستمية 160هـ / 776م) في تشكيل النواة الفكرية والعقائدية عند أهالي جبل نفوسة، إذ تتحدث المصادر على إن وصول المد الإسلامي إلى بلاد المغرب بما فيه جبل نفوسة في القرن الأول الهجري رافقه وصول عدد من صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إفريقية؛ نذكر منهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ،عبدالله بن عمر بن الخطاب، عبدالله بن عمرو بن العاص، عبدالله بن الزبير، وسلمى لأكوع، حمزة بن عمرو الأسلمي وكعب بن عمرو، وبلال بن حارث المزني [4]، وبالرغم من وصول

(1) سورة طه، الآية 114.

(2) سورة المجادلة، الآية 11.

(4) أبو العرب محمد القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشامي ونعيم حسن، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1968)، ص 78-73.

هؤلاء الصحابة إلى حيز طرابلس ومدينة شروس، فإن المصادر لم تسعفنا بمكوثهم في جبل نفوسة.

كما أن الجهود العلمية المتقدمة لنشر الثقافة الإسلامية في بلاد المغرب لم تكمل بالفتوحات وما صحبها من دعاة للدين الجديد، ففي نهاية القرن الأول الهجري (101-100)، أرسلت بعثة علمية من طرف الخليفة عمر بن عبد العزيز مكونة من عدد من الدعاة وهم (سعيد بن مسعود التجيبي، عبد الرحمن بن رافع التنوخي، بكر بن سواد الجدامي، طلق بن حابان، إسماعيل بن عبيد، إسماعيل بن عبيد الله الأعور القرشي، موهب بن حي المعا فري، حبان بن جبلة، أبو عبدا لرحمن الحبلي)[5]، وعلى الرغم من هذه الجهود العلمية من طرف مركز السلطة في المشرق الإسلامي، فإنها كانت موجهة نحو بلاد المغرب ككل، ولا ندري ماذا كان نصيب جبل نفوسة من تلك البعثة العلمية، وهل كان جبل نفوسة مقصداً للدعاة؟ كل هذه الأسئلة ينبغي الإجابة عليها حتى يمكن لنا فهم حقيقة البدايات الأولى لنشر الدين الإسلامي في جبل نفوسة.

الحقيقة أن تلك البدايات في أخذ أهالي الجبل بما جاء في العقيدة الإسلامية، قد تتصل إلى حدٍ ما بنهاية العهد الأموي[6]، إذ شهدت تلك الفترة ظهور للمذاهب الدينية، وعكست ضعف خلفاء بني أمية في تحقيق وحدة الاتجاهات الدينية، ومن ضمنها دعاة المذهب الاباضي، كما أن بعد بلاد المغرب عن مركز السلطة الأموية في دمشق ومن بعدها بغداد نبه أئمة الاباضية في البصرة لنشر الدعوة، وحظي ذلك بعناية كبيرة من طرف دعاة المذهب، ولعل السبب الرئيس يعود إلى تدمر البربر من أعمال بني أمية، ولهذا حرصوا على نشر المذهب الاباضي في بلاد المغرب، وكان جبل نفوسة حاضراً في استقبال الدعاة [7]، ومن المصادر التي تشير إلى أن أهالي نفوسة والقيروان استقبلوا أول داعية أباضي يدعى سلمة بن سعد الحضرمي، الذي أرسله الإمام أبو عبيدة مسلم بن كريمة من البصرة، وكان هذا في أواخر القرن الأول الهجري، والذي بدوره أرسل عدد من طلبة العلم لتلقي التعليم في البصرة، وقد كان عبد الحميد بن أمغطير الجناوني أول من الذين وفدوا للتعليم في البصرة قبل البعثة من طرف سلمى بن سعد، ثم أوفد بعثة مكونة خمسة من الأنفار ليتلمذوا عند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ما يفسر لنا أن جبل نفوسة كان الحاضنة الأولى لسلمة بن سعد ويحظى بعناية خاصة وكان له ميدان السبق في تلك الوفود التي أرسلها إلى المشرق للاستفادة ونقل تعاليم ومبادي المذهب الإباضي، وبعودة ابن مغطير إلى طرابلس عكف على التعليم والفنون في جبل نفوسة، واسهم في نشر مبادئ المذهب، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الجبل مقصداً لهجرة الإباضية، مع انتشار تعاليم الإسلام في الجبل، أمكن لعمر بن

(5) أبوبكر عبدالله المالكي، رياض النفوس ج 1، تحقيق بشير البكوش، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994) ص 160.

(6) لا يستبعد أن يكون دعاة الإباضية إلى بلاد المغرب قد حدث عند أوائل القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي خاصة لو عرفنا أن دخوله إلى مصر كان في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 78هجري.

(7) من المصادر التي تشير إن أهالي جبل نفوسة استقبلوا أول داعية إباضية ويدعى سلمى بن سعد الذي أرسله الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة من البصرة وكان هذا أواخر القرن الأول الهجري.

يمكثن وهو أحد شيوخ الجبل في مدينة يفطمان من افتتاح أول مدرسة للتعليم لأبناء المنطقة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وتبدو الإشارة إلى أن الشيخ عمر بن يمكثن كان قد تعلم القرآن في مغمداس[8]، في طريق القوافل والحج وكان من أوائل المتعلمين في الجبل، ما مكنه من افتتاح مدرسة في يفطمان كما أوردنا سلفاً.

من خلال هذه المقدمة أخذ أهالي جبل نفوسة بالإسلام واعتناقهم للمذهب الإباضي، يمكن لنا أن نقدم أهم المراكز العلمية في الجبل والتي يُدرس فيها العلوم الدينية والعلمية، المدارس، المساجد، حلقات الدرس، نحاول من خلال هذه الورقة أن نقدم هذه المراكز التي انتشرت في مدن وقرى جبل نفوسة من خلال ما جاءت به الكتابات الإباضية:

أولا– المدارس الدينية:

بالرغم من أن المساجد كان لها دور كبير في نشر العلم في جبل نفوسة، فإن المدارس كانت أكثر فاعلية في مسألة تقديم الإسلام ونشره بمختلف مدن وقرى الجبل، حيث كان لها دور في أثراء الحركة الفكرية برمتها، فإضافة إلى تعليم القرآن وتعاليم الدين كان لها خاصية التعليم في عديد العلوم الأخرى، وفي بادي الأمر كانت متصلة بالمساجد، وأوكلت لها مهمة تحفيظ الصبيان القرآن الكريم ومبادي القراءة والكتابة والتشريع، إذ أطلق عليها في البداية الكتاب أو المكتب ثم تطورت إلى مدرسة بمفهومها المتعارف عليه، وقد حظيت تلك المدارس بمتابعة الأساتذة لطلابهم في مختلف المسائل الدينية، وهذا ما أثبتته بعض كتابات مؤرخي الجبل[9]، وقد كان لجبل نفوسة الأسبقية في العالم الإسلامي من حيث نشأة المدارس الدينية (العلمية)، فمن أولى المدارس في جبل نفوسة:

1 – مدرسة يفطمان [10]: مدرسة عمر بن يمكثن اللواتي (140هـ / 758 م).

أنشئت بقرية يفطمان على يد الشيخ عمر بن يمكثن، وهو من علماء القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وكما أشرنا سابقاً أنه تعلم القران في طريق الحج والقوافل في مغمداس، وأنهى تعليمه بها، وهذا مكنه بعد عودته للجبل من التفكير من أنشاء مدرسة لتعليم القرآن ومبادي القراءة والكتابة، وفي العقد الثالث أو الرابع من القرن الثاني للهجرة منتصف القرن الثامن الميلادي أنشئت المدرسة في قرية يفطمان، وتعد أولى المدارس في الجبل، واستمر نشاطها العلمي منذ بداية الدولة الاباضية في طرابلس وإفريقية، وفي هذا الصدد يتحدث ابن سلام في القرن الثالث 273هـ/ 887م، فيقول: " إن أول من علم القرآن بجبل نفوسة عمر بن يمكثن بمنزل يقال له

(8) مغمداس تبعد عن برقة وقصور حسان بمرحلة، وهو صنم قائم على شاطئ البحر حوله أصنام، ينظر أبي عبيدة البكري، المسالك والممالك مج، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1،2003) ص179.

(9) ينظر مقرين البغطوري، سيرة مشايخ نفوسة، (مؤسسة تأولت الثقافية، ط1، 2014)، ص 31.

يفطمان"[11]، وتبعه في ذلك الشماخي في كتابه السير مع مراعاة الفارق الزمني بينهما[12].

وعلى الرغم من أن الشيخ محمد بن امغطير الجناوني يعد أول من جمع القرآن في جبل نفوسة وقام بتحفيظه، فإن عدم أنشاؤه مكان ثابت للقراءة والكتابة، حال دون ذكره أول من درس القرآن الكريم بالجبل، وفي تقديرنا أيضاً أن عدم تتلمذ الشيخ أبن أمغطير الجناوني على يد أعضاء البعثة العلمية التي أرسلها بعده سلمى بن سعد والتي كانت تضم (عبد الرحمن بن رستم، أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعاصم السدراتي، أبي داود القبلي النفزاوي، إسماعيل بن درار الغدامسي)فهذه البعثة التي عرفت عند الإباضية بحملة العلماء الخمس، ربما لهذا السبب لم تعن به الكتابات الإباضية، غير أن الصحيح أن ابن أمغطير كان الأقدم في رحلته إلى البصرة، وتجدر الإشارة إلى أنه الجد الأول لعبد الحميد الجناوني[13]، ومن الباحثين من ذكر إنها، كانت من أولى المدارس في المنطقة، وقيامها عاصر مدارس العراق (البصرة والكوفة)، بل هنالك من يراها أنها أولى المدارس في العالم الإسلامي، إذ كان لها الفضل في اجتماع العلماء والطلبة، وفاتحة لقيام حلقات الدرس في مختلف مدن وقرى الجبل[14]، ولم يقتصر دورها على تعاليم الدين، بل كانت فاتحة أيضاً لعلوم النحو والبلاغة والحساب[15].

2- مدرسة أبي المنيب محمد (أومامد) بن يأنس الدركلي النفوسي:

تعد مدرسة الشيخ محمد بن يأنس الدركلي من أقدم المدارس في جبل نفوسة، إذ يعود تأسيسها إلى القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي في حصن الجزيرة [16]، وهي عبارة عن بناء حفر تحت الأرض موصول بمسجد[171]، وعرفت الجزيرة بهذا الاسم نسبة إلى وقوعها في جبل تحيط به الأخاديد من الجانب الشرقي والجنوبي، وتتموقع على وادي دركل من الشمال ووادي أيند ل من الجنوب الشرقي، وهي في شكل مثلث قاعدته في الغرب ورأسه إلى الشرق، ولا يمكن الدخول إليها إلا من خلال منافذ ألواح توضع على الأخدود الشرقي [18].

ومن الملاحظ إن الشيخ الدركلي لم يبنِ المدرسة في قريته دركل (درشل)، فكان تأسيسها في قرية الجزيرة ذات الموقع (الاستراتيجي)، وفي هذه النقطة يشير الباحث إلى أن أغلب شيوخ الجبل اتخذوا من الصحارى وقمم الجبال وجوانب الصخور مصالي وبيوت يعتكفون فيها، ويمارسون فيها الشعائر الدينية، وبهذا كان علماء الجبل يبنون المساجد والمدارس خارج القرى والبلدات.

(11) أبن سلام الأباضي، مدد الإسلام وشرائع الدين، تحقيق فيرنز سفارنس وسالم بن يعقوب (بيروت: دار صادر 1986) ص 126.

(12) ينظر الشماخي، السيرج 2، طبعة حجرية، ص 142.

(13) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (سلطنة عمان: مكتبة الضامري، ط3،2008)، ص 333.

(14) مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، (سلطنة عمان، مكتبة الظاهري للنشر والتوزيع، ط1، 2010) ص 382

(15) المرجع نفسه، ص 384.

171) زار الباحث الموقع واطلع على أطلاله سنة 2005.

والشيخ أبي المنيب محمد بن يأنس الدركلي أخذ العلم على يد الشيخ إسماعيل درار الغدامسي، وكان متفوقاً وفي مقدمة شيوخ العلم في جبل نفوسة الذين أسهموا في نشر العلوم، فمن خلال مدرسته تتلمذ الكثير من طلاب العلم، ولعل تعاليم الشيخ أبي خليل صال الدركلي الذي تخرج على يد الشيخ أبو المنيب خير مثال على ذلك، واستمرت المدرسة تؤدي دورها في مهمتها التعليمية حتى القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي.

وللإشارة إلى أن الشيخ أبي المنيب كان مهتماً بتدريس علم التفسير إلى جانب العلوم الأخرى، وفي هذا الصدد يورد الشماخي نصاً يقول فيه بأن الشيخ أبي المنيب: " هو أحد الأربعة الذين تكفلوا برد الواصلية... على الإمام "[19]، وكان من ضمن من أرسلهم إمام نفوسة إلى الإمام في تاهرت ليعوض عن أربع مئة، فكان معوضاً عن مئة فقيه يضمن الحلال والحرام ويورد أبي زكريا قصة النفر الأربعة الذين بعثتهم نفوسة ليعوضوا عن أربعمائة فارس لمحاربة الواصلية، حيث تذكر الكتابات التاريخية إن الإمام عبد الوهاب استنجد بعلماء نفوسة للقضاء على شغبهم في تاهرت، وطلب منهم أن يرسلوا إليه جيشاً يتألف من أربعمائة رجل من خيرة الفرسان، ومئة من المتضلعين في علم التفسير، ومئة في علم الكلام، ومئة في مسائل الحلال والحرام، ولما بلغ كتاب الإمام عبد الوهاب إلى عامل الجبل أبي الحسن أيوب بن العباس جمع هذا الأخير أصحابه، وبعد نقاش اتفقوا على أرسال أربعة أشخاص لأن إرسال جيش يكلفهم ويكلف الإمام، واختاروا لتلك المهمة مهدي الويغوي ويختص بعلم الكلام، أيوب بن العباس للمناظرة والمبارزة، محمد بن يأنس لعلم التفسير، أبي الحسن محمد الأبدالاني.

3 – مدرسة أبي عثمان سعد أبي يونس (الطمزيني)النفوسي:

أرسله أبوه يونس وسيم بن سعيد النفوسي إلى تاهرت ليتعلم العلم ومعه نفات فرج بن نصر ثم عادا إلى بلدهما، غير أن يونس أبو سعد كان قد توفي آنذاك وكان هذا في بداية القرن الثاني للهجرة، وأسس سعد دار في تيجي تعرف بدار محال [20]، يجتمع فيها الناس ويبدو أنها كانت مدرسة يستقبل فيها طلابه وكان بانيها الشيخ فرج بن نصر الملقب بـ (نفات)[21]، ثم تأسست مدرسة باسمه بمدينة طمزين في القرن الثالث الهجري، ودرس بها عدد كبير من الطلاب، واستمر نشاطها حتى القرن الثامن الهجري[22].

والشيخ سعد بن يونس وسيم النفوسي الطمزيني، هو أحد أعلام قرية طمزين، درس على يد العلامة الكبير الإمام عبد الوهاب بن عيد الرحمن بن رستم بتا هرت، وقد وقع عليه اختيار الإمام فأسندت إليه ولاية قنطرار خلفاً لأبيه في بداية القرن الثالث الهجري، وفي الفترة نفسها أسس مدرسة في مدينة طمزين أقيمت فوق ربوة

(19) المرجع نفسه، ص 295.

(21) أحمد سعيد الشماخي، السير ج 2، ص 251 – بقيت أطلال هذه المدرسة قائمة في مدينة تيجي حتى سنة 2013، وهي عبارة عن عدد من الحجرات، وسراديب تحت الأرض ذات بناء متقن، تزار، تعرف في العامية بمسجد (الشيخ سعيد)

(22) مقرين البغطوري، سير مشايخ جبل نفوسة، ص 70.

عالية، يلحق بها مسجد ويعد اليوم مسجداً أثرياً يزار [23].

4 – مدرسة أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي:

أقيمت هذه المدرسة في نهاية العهد الرستمي بداية القرن الرابع الهجري في قرية تمصمص، وأطلال المسجد والمدرسة موجودة إلى اليوم، وفي المدة الأخيرة قام أهالي طمزين ببناء حجرتين خلف المسجد من الجهة الشمالية لمبيت الزوار من النساء والأطفال، وذلك بتاريخ 1997م[24].

وكانت هذه المدرسة مختلطة بين الجنسيين الذكور والإناث، وهذا ما أشار إليه الشماخي بقوله: " أم ماطوس[25]، كانت تتعلم عند أبي محمد خصيب وهي بكر"[26]، وتعد أم ماطوس من أوائل الفتيات اللائي تعلمن في مدارس الفتيان، مما يدل على أن طلب العلم كان شائعاً بين الرجال والنساء على السواء، ومن أبرز من تخرج من هذه المدرسة أبو زكريا يحيى بن شعبان الألوتي عاش ما بين (350–400هـ / 961–1009م)، وأبو هارون موسى بن هارون هما من العلماء المذكورين في جبل نفوسة[27] .

5 – مدرسة أبي الربيع سليمان الألوتي[28]:

يعود تأسيس هذه المدرسة إلى القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بمدينة لألوت، على يد الشيخ أبو الربيع الألوتي؛ الذي كانت له طريقة مغايرة في التدريس، إذ كان يصحب تلاميذه في رحلات علمية لدراسة (البيئات المتنوعة)، وفي إحدى رحلاته العلمية في فصل الربيع قتل في مقتبل عمره، إذ يذكر البغطوري: " إنه خرج هو وتلاميذه... في أيام الربيع فصادفهم بنو تيجين فقتلوه هو وعزابته... وبلغنا أن أبا الربيع مات وهو أبن سبعة وعشرين سنة والتلاميذ يتعلمون عنده[29]، وعلى يده تخرج عدد من العلماء، من خلال هذا النص يرى الباحث أن هذا الأسلوب في التعليم يعد من أساليب التربية الحديثة وهي طريقة مبنية على الاكتشاف والتشويق، وربط الطبيعة بما جاء في التعاليم الإسلامية، وبذلك كان جبل نفوسة سباقاً في هذا النوع من التعليم.

6 – مدرسة تسليت (أم يحيى) أمسين:

أسست هذه المدرسة بمنطقة أمسين بـ (الرحيبات) خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وأم يحيى

---

(24) المرجع نفسه، ورقة 1.

(25) أم ماطوس: هي امرأة من أهل جارايزرار يقال لها أم ماطوس كانت تتعلم في تمصمص، ثم تزوجت في أيميتون وهي قرية من قرى الرحيبات حالياً. – مقرين البغطوري، سير مشايخ نفوسة، ص 69.

(26) أحمد سعيد الشماخي، السير، ص 142.

(27) محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، ص 76.

(28) لألوت تعد من مدن جبل نفوسة القديمة، تكتب وتنطق حاليا نالوت، تقع في الطرف الغربي لجبل نفوسة، بالقرب من الحدود التونسية، وتنقسم إلى لألوت العليا والسفلى، ويفصل بينهما القصر – زارها الباحثان مرات عدة.

(29) البغطوري، أشياخ جبل نفوسة، ورقة 8.

كانت من أهل بلدة تعرف بحليمة تتلمذت على يد الشيخ ابن غلبون من أهل كزين، ولما رأت الشيخ كبر دلها على ابن أبان بويغو وجندول بتمنكرت، وتزوجت من أبي ميمون التصليتي، وحسب ما أورده البغطوري أن أم يحيى كانت تجتمع مع طلبة أمسين في كل ليلة جمعة يتذاكرون ويحيون ليلتهم بالعبادة[30]، وهنالك من الكتابات من يشير إلى أن هذه المدرسة خاصة بتعليم البنات وفيها مبيت تأوي إليه الفتيات القادمات من أماكن بعيدة[31]، وكانت لها إسهامات في أثراء الحركة الثقافية مثل نسخ كتاب الخليل الصالح، مما يدل على مساهمة المرأة في الحياة العلمية بالرواية والنقل والتدريس في جبل نفوسه منذ القرن الثالث الهجري[32].

7 – مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي:

أسست هذه المدرسة في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي في قرية ويغو[33]، والشيخ أبي ذر أبان أنهى تعليمه على يد الشيخ أبي خليل الدركلي[34]، وتخرج على يده عدد من العلماء كان لهم أثر في الحياة العلمية في جبل نفوسة طوال القرن الثالث الهجري، نذكر منهم أبي القاسم سدرات، أبن الحسن البغطوري، تاريخ وفاته 313هـ/ 925م، وأبي محمد عبدالله بن الخير، وأبي معروف ويدران بن جواد من شروس، وايدين الفرسطائي، والعالمة زورغ الأرجانية، وكذلك العالمة تسليت أم يحيى التي بسطنا الحديث عنها[35]، ويقال إن الشيخ أبي ذر فتح منزله للنساء مدرسة يقصدنها للتفقه في الدين، وفي أطلال مدينة ويغو مسجد يعرف باسمه ويعد من مشاهد الجبل[362].

8 – مدرسة أبي القاسم سدرات بن الحسن البغطوري:

أسست هذه المدرسة في القرن الثالث الهجري وتتموقع على أطلال قرية بغطورة اليوم بالقرب من بقيقيلة الجديدة بمنطقة الحرابة، وقد أورد مقرين البغطوري ترجمة للشيخ أبو القاسم ذكر فيها إنه كان يحث طلابه على الكتابة ويوضح لهم أهمية التدوين [37] والشيخ أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري درس في مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم في ويغو، ثم عمل على تأسيس مدرسته في بغطورة، وصار مرجع للفتوى والتدريس، خاصة وأنه

(30) علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، (طرابلس: الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط1، 1977)، ص 24-21.

(31) ينظر أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، (بيروت: دار الكتب، 1971)، ص 117.

(32) علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، ص 24.

(33) تقع أطلال هذه القرية في جنوب قرية مرقس الجديدة ضمن قرى منطقة الحرابة في جبل نفوسة، زارها الباحثان مرات عدة.

(34) دركل، أطلال هذه القرية تتداخل اليوم داخل نطاق بلدة الشعبية وأم صفار وتينزغت من ناحية الغرب وتعرف في العامية بالدركلية بمنطقة الحرابة.

(35) محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، ص 88.

362) محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الاباضية، (قسم المغرب الإسلامي) ج، 2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2000)، ص7.

عاش بعد معركة مانو 283هـ/ 896م[38]، التي فقد فيها الجبل جل علمائه، إذ يذكر علي يحيى معمر في كتابه الإباضية في موكب التاريخ، إنه لم يشارك فيها لكبر سنه وإنه توفى عن عمر يناهز المئة وثلاثون سنة، ولقلة شيوخ العلم بعد معركة مانو كان الناس ينقلوه من مسجد إلى مسجد محمولاً ويسمعون منه دروس الوعظ والإرشاد.

9 – مدرسة أبي يحيى ماطوس الشروسي (في مدينة شروس أواخر القرن الثالث الهجري):

يصفها المؤرخ علي يحيى معمر بالعظيمة، وكان يلحق بها قسم داخلي خاص بالطلبة، ويضيف بأن مدينة شروس غصت بطلاب العلم الوافدين، بحيث لم يجد بها أبو يحيى زكريا بن أبي قاسم يونس الفرسطائي مكاناً للإقامة، ليضيف من العلوم عما أخذه من علوم شيوخ بلدته، وأنها من أفضل المدارس التي كانت مدداً للعالم الإسلامي في مختلف الفروع الدينية، المهم أن أبو يحيى درس في مدرسة ما طوس بشروس وتخرج منها [39].

ثانياً المساجد [40] والمشاهد:

تعد المساجد من المراكز العلمية في جبل نفوسة، إذ اعتنى أهالي نفوسة ببناء المساجد في كثير من المدن والقرى بالجبل، والمسجد له أهميته الدينية للمجتمع الإسلامي، وهو المكان الذي تقام فيه الصلوات الخمس، إضافة إلى دورها في تعليم الدروس وإقامة الحلقات، ويتوزع في جبل نفوسة، ستين مسجداً في مختلف مدنه وقراه، وطريقة بناء تلك المساجد فيها الكثير من (الزخارف) المغربية ذات الأعمدة الحجرية المتناسقة، وقبلة المحراب تميل نحو الجنوب الشرقي، وعادة ما تجد فيها حاجزاً يفصل النساء عن الرجال، مما يدل على أن المرأة في جبل نفوسة كانت معنية بالصلاة والعبادات وحضور حلقات الدروس الدينية ،ومن أمثلة المساجد في جبل نفوسة مسجد أبو شيبة في قرية دجي الأثرية، وهو خير شاهد على ذلك، ففيه فاصلاً بين النساء والرجال وملحق بخلوة للشيخ والاعتكاف كما نجد التصميم نفسه بمسجد أبي معروف بشروس، وهذا يدل على عناية النفوسين بالعبادة والاتصال الروحي، منذ وقت متقدم يعود إلى القرن الثالث الهجري، ومن المصادر العربية المتقدمة التي لم تذكر أن جبل نفوسة يخلو من المساجد، اليعقوبي، فقد اختصر في قوله على إنهم أباضية كلهم، لهم رئيس يقال له إليأس لا يخرجون عن أمره، ومنازلهم في جبال طرابلس، ولا يؤدون خراج[41]، فأن المتفحص لتاريخ الجبل يجد أن المساجد والمشاهد موجودة منذ القرن الثالث الهجري، وفي حديثنا عن المساجد نحاول من خلال هذه الدراسة تبصير القاري بأهم المساجد التي بنيت في العهد الرستمي:

1–مسجد أدرج أو درج [42]:

(38) مانو هي معركة بين نفوسة وإبراهيم بن احمد من بني الأغلب في موضع معروف بمانو، وهو قصر من قصور الأولين على ساحل البحر حدثت سنة 283هـ.

(41) أحمد اليعقوبي، البلدان، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988) ص163.

شيد هذا المسجد على يد عالمة تعرف بدرج في القمة الشرقية لجبل زعرارة بمنطقة البدارنة الشرقية، يقال إنها من الحواريين حسب ما هو متوارث، وقد ذكر الشماخي هذا المسجد وضمنه من ضمن مساجد الجبل، ويذكر الوسياني في كتابه سير مشايخ المغرب: " إن حركة علمية انتظمت في بلد أدرج بالجبل بلغ عدد تلاميذها نحو ثلاثمائة تلميذ يقرؤون العلوم والسير"[43]، من خلال هذا النص يتضح لنا أن بلدة زعرارة كانت في القرن الثالث الهجري، على الأرجح أنها تحمل أسم أدرج نسبة إلى العالمة، ويبدوا أن مدينة درج الحالية أخذت أسمها من العالمة النفوسية أدرج في منطقة زعرارة ، وهو عبارة عن بناء تحت الأرض في صورة غار نتوسطه ثلاثة أعمدة، وتوجد فوق سطحه مباني صغيرة مهشمة لا ندري بمادا تستخدم.

2 – مسجد أبي خليل صال الدركلي (2هـ / 8م):

ينسب إلى قرية دركل الواقعة أطلالها في منطقة الحرابة اليوم فالشيخ أبي خليل بعد أن أنهى تعليمه على يد مشايخه قام بتأسيس مسجده، ومن تلاميذه الذين التحقوا بهذا المسجد أبان بن وسيم الويغوي، أبو صالح الدركلي، وهو عبارة عن بناء تحت الأرض في صورة غار على غرار مسجد أدرج المذكور مسبقاً، أسفل ربوة دركل طوله من الغرب إلى الشرق عشرة أمتار وعرضه ستة ونصف من المتر وبابه يفتح ناحية الجنوب الغربي والمسجد متسع وتوجد به ثلاثة أعمدة كبيرة وقوسان، وتوجد على سقفه كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم... علي محمد عمل له هدية المسجد في سنة خمسمائة وخمس وثلاثين... الله من عمل يوم الثلاثاء)[44]، وهذه الكتابة غالباً ما تكون تاريخ لصيانة المسجد، وعلى غرار مسجد أدرج يوجد على سطحه عدد من المباني الصغيرة المهشمة لا ندري وظيفة استعمالها.

3 – مسجد إلياس بن منصور النفوسي (أبو منصور):

يعود بناؤه إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ويعد من المساجد الأولى المقامة في الجبل، وإلياس بن منصور النفوسي من مشايخ جبل نفوسة من تين دمرت [45]، أشتهر بالعلم، وتلقى علمه على يد مشايخ بلده، كان حاكماً على ولاية نفوسه في الفترة من (281-261هـ / 894-874م) ووصف المسجد فهو من المساجد الكبيرة في الجبل فطوله حوالي ثمانية عشرة ونصف متر، وعرضه يصل إلى ستة عشر متر، ويتألف من خمس بيوت، والمسجد له بابان شرقي وشمالي، ويحوي عشرة أعمدة، ويبدو أنه قد تم ترميمه في القرن التاسع، إذ توجد كتابة واضحة على أحد الجذران يسار المحراب كتب عليها: " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما... المسجد في شهر الله المبارك محرم عام خمسة وسبعين سنة بعد ثمان مئة في القرن التاسع، وكتب سعيد بن مصباح بن إبراهيم رحمة الله رحمة الله ".

(43) الوسياني، سير مشايخ المغرب، تحقيق إسماعيل العربي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985م، ن. ط)، ص 29.

(44) محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، ص 76-75.

4 – مسجد سعد بن يونس الطمزيني[46]:

يعود بناء هذا المسجد إلى الشيخ سعد بن يونس بعد عودته من قنطرار في عهد الإمام أفلح، القرن الثالث الهجري، يقع هذا المسجد في منطقة الخروبة، وهو متسع إلى حداً ما طوله تسع أمتار وعرضه يناهز ثمانية أمتار، وتلحق به مدرسة من جهة بابه من الناحية الشرقية، مازال في حالة جيد نتيجة لعناية أهالي طمزين به.[47]

5 – مسجد أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني:

يقع المسجد في قرية جناون أسفل مدينة جادو الحالية، يعود بناؤه إلى القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، نسبة إلى الشيخ الجليل عبد الحميد الجناوني، وهو من أكثر المساجد اتساعاً، إذ أورد في شأنه الشماخي نصاً في غاية الأهمية بقوله: "وكان في مسجده سبعون شيخاً كلهم من أهل ولايته "[48]، يقدم لنا هذا النص أن الدين في جبل نفوسة كان على درجة متقدمة، ما يسمح باجتماع سبعون شيخاً في مركز الولاية، كما يفهم من خلاله أن وظيفة المسجد لم تقتصر على التعليم وحل المسائل الدينية فحسب، بل كان يستخدم لاجتماعات الشيوخ.

6 – ثلاث مساجد لأبي مهاصر موسى بن جعفر:

تقع في قرية يفطمان الأثرية، وكانت تزار من طرف الأباضية حتى القرن العاشر الهجري حسب ما ذكره لفينسكي، وفي حديثه عن قرية يفطمان يقول إن أخر إشارة وردتنا عن نشاط سكانها كانت في القرن الخامس الهجري ويضيف " والظاهر إن ساكنيها هجرتها بعد هذا التاريخ"[49].

7 – مسجد الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد (تـ 283هـ / 896م):

بني هذا المسجد في الحي الجنوبي لمدينة شروس في القرن الثالث الهجري، ومازال المسجد قائماً إلى اليوم، فيه الكثير من التصدعات ويعد مركزاً علمياً مهماً[50]، وهو من المساجد الجامعة، ومازال المبنى الوحيد القائم في أطلال مدينة شروس الأثرية، باستثناء بعض المساكن في الجهة الجنوبية وهي عبارة عن دواميس غيران مازال البعض منها في حالة جيدة، وبقية المباني وخاصة في الجهة الشمالية وبالأخص القلعة والقصر فهي خراب يبدو أنها خربت على يد فعل فاعل أيام الهجمات الزيرية ومن بعدها الفاطمية وبني غانية، في القرنين

(46) زار الباحث المسجد سنوات عدة أخرها سنة 2023م.

(48) الشماخي، السير ج2، ص 321.

(49) تاديوس ليفينسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبدالله رارو، (الرباط: مؤسسة تاولت الثقافية، 2013)، ص 114.

(50) أبو العباس أحمد الدرجيني، طبقات مشايخ المغرب ج1، تحقيق إبراهيم طلاي، (قسطنطينة: مطبعة البعث، 1974)، ص 157.

الخامس والسادس الهجريين[51]، أما بقائه بهذه الحالة فأن سكان المناطق المجاورة لأطلال مدينة شروس يقومون بترميمه من فترة إلى أخرى ويتقاسمون جذران صيانته وسقفه وخلوته، وتجدر الإشارة إلى أن المسجد بقي يؤدي مهمة التعليم حتى القرن السادس الهجري.

أما عن وصف المسجد فطوله 15 متر وعرضه 15 متر وله بابان شرقي وغربي، توجد فوق الباب الغربي من الخارج كتابة عربية بالخط الكوفي سقطت في المدة الأخيرة، كما نجد كتابة أخرى على أحد سقوف المسجد (محمد بن فرج الوراني، يوم الخميس أوائل شهر ذي الحجة عام 1275هـ)، يبدو أن هذه الكتابة هي أخر صيانة للمسجد، وللمسجد مئذنة صغيرة من الناحية الجنوبية [52]، ومن العلماء الذين تخرجوا من هذا المسجد الشيخ أبو مسور يسجا اليراسني، والذي قدم من خارج الجبل (ت 350هـ / 996م) [53].

وإضافة إلى هذه المساجد أورد الشماخي في تسميته لمشاهد الجبل عدد من المساجد دون أن يبين تاريخ أنشاؤها ومنها مسجد تغرمت (تغيري نفاوين)، مسجد أبي عامر في أنير، ومسجد توريت انابرت[54]، مسجد أبي محمد خصيب، وفي تملوشايت مسجد توزنزرت، ومسجد عمي ايسي، ويقصدون مسجد جار أغرمان، مسجد أجلمام في ويغو، ومسجد تونين اندرشل، ومسجد مسراتة في جناون، مسجد الدياح ويقصدون مصلى عبدالحميد الجناوني، ومسجد جليزت[55]، كل هذه المساجد إضافة إلى الكثير من المصالى التي ذكرها الشماخي دون أن يحدد تاريخ بنائها وهي منارات ومراكز علمية أسهمت في نشر العلم والثقافة الإسلامية، والمتفحص فيها يجدها الأقدم في جبل نفوسة، وشهدت مرحلة انتقال جبل نفوسة من الديانة المسيحية الى العقيدة الإسلامية.

ثالثاً حلقات الدرس الدينية:

من خلال دراستنا للمدارس الدينية والمساجد في جبل نفوسة يتضح لنا أنها تقوم بمهمة نشر العقيدة الإسلامية وتعليم الصبيان والفتيات مبادئ الإسلام، وأنها كانت سباقة في العالم الإسلامي، لكن هذا الدور الذي قامت به المساجد والمدارس على السواء لم يكن موجود لولا وجود حلقات الدين (حلقات الدرس) التي انتشرت في المدارس والمساجد والبيوت، ونظام الحلقة كان الأساس في انتشار الإسلام، والمنهل الدائم للتعليم بمختلف فروعه لكونه كان أكثر اتساعاً وشيوعاً في التعليم والتعلم بجبل نفوسة، وقد كان ركيزة التعليم الرئيسة في فترة ما بعد العهد الرستمي، بما يعرف بعهد الكتمان.

(51) مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ص 231-229.

(54) توريت انابرت: أقيم مسجد توريت على إحدى القمم الجبلية غرب قرية دجي في منطقة يصعب الوصول إليها، وقد توارثت الرواية الشعبية أن توريت غرب دجي وتالا (أم القرب) في الرحيبات، ويدرج في جبل زعرارة، جميعهن عالمات أخوات في زمن واحد، وهن من الحواريات، وفي تقديرنا أن زمنهن لا يتجاوز بداية القرن الثاني الهجري، وحولت كنائسهم إلى مساجد ابتدأ من القرن الثاني الهجري.

(55) الشماخي، السير ج2، طبعة حجرية مخطوطة، ص 600-599.

هذه الدراسة نناقش بدايات الحلقة الدينية في قرى ومدن جبل نفوسة وأثرها في إثراء الحركة الفكرية، فمن خلالها كان للمدارس والمساجد دوراً كبيراً في تكوينها في جبل نفوسة، إذ انتظمت حلقات الدرس على يد عمر بن يمكثن الذي يعد الأول في إقامتها في حيز طرابلس أثناء تعلمه وتعليمه، فقد جلس هذا الشيخ لحلقات دروس شيوخ القوافل المارة في منطقة طرابلس شرقاً وغرباً وفي تعليمه نظم حلقة الدرس في بلده يفطمان، وبالواحة حَفِظَ وحفْظ القرآن الكريم [56].

ثم توسعت تلك الحلقات الدينية لتشمل عديد القرى النفوسية في الجبل وانتشرت بفضله في قرى ومدن (جادو، شروس، لألت، يفطمان، تين دميرت، دجي، أبديلان، قطرس، ونزيرف، تميجار، ويغو، ميري، أنير، أبناين، أنكباو، غفسوف، لألوت، تمصمص، تمنكرت، بقالة... وغيرهم)، وأمكن للكثير من التلاميذ أخذ العلم عن طريق حلقات الدرس، وتخرجت نخب من العلماء النفوسيين وتبوأت الحركة العلمية والفكرية مكانة متقدمة من فهم للعقائد الدينية واللغة العربية، وتجدر الإشارة إلى أن تلك الحلقات كانت تدار في بداياتها باللغة الأمازيغية في الكثير من مسائل العقيدة خارج نص الكتاب (القران الكريم)، وكانت المسائل الفقهية تدار من لألوت إلى تغرمين[57].

ولمناقشة الحلقات الدينية وفهم دورها في إثراء الحركة الفكرية لجبل نفوسة نقدم الكثير من الشواهد التي أوردتها المصادر، فمن خلالها يمكن لنا فهم مستوى التعليم في الجبل والجهود التي بذلت في ميدانه، تبسط المصادر الإباضية الكثير فيما يخص انتظام حلقات الدرس سواء كان ذلك في حل المسائل الدينية أو تعليم القرآن الكريم أو في صورة حوار في العقيدة الإسلامية، ففي كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا كثيراً من الإشارات إلى نظام المجالس في جبل نفوسة، ففي أثناء وجود الإمام عبد الوهاب الرستمي في جبل نفوسة كان يحضر مجلسه الكثير من الجلساء، وفي هذه المجالس عادة ما تحل الكثير من الخصومات، ويشير أبن زكريا إلى صرامة الشيخ أبن مغطير، وأورد نصاً كان في غاية الأهمية، "... فلما كان اليوم الرابع حضر الخصمان واستمسك المدعي بالمدعي عليه فاستردده الإمام الجواب فأمتنع... فقال الإمام لجلسائه هل هنا أبن مغطير، وكان أبن مغطير حاضراً مستغشياً بثيابه، فلم يتم قوله إلا وثب عليه"[58].

يظهر لنا هذا النص أهمية المجالس الدينية في حل عديد الخصومات بين الناس والصرامة في تطبيق الشريعة الإسلامية، وفي موضع أخر يتحدث أبو زكريا عن تعلم أبي مسور بن يوجين اليهرساني في جبل نفوسة، ويورد نصاً بالخصوص فيقول: " كان أول من اشتهر بالعلم من بني يهراسن، وكان تعلمه بجبل نفوسة، أخذ العلم عن أبي معروف وعن أبي زكريا يحيى بن يونس السدراتي، وفي مبتدأ تعلمه لم يكن بيده مال وكان

(57) المرجع نفسه، ص 213.

(58) أبي زكريا، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص 77.

فقير وربما أخذ شعير.... وضعه في طرف ثوبه فيرشه بالماء حتى يبتل فيقتات منه، وقد استمر ذلك برهة من الدهر لم يفطن به أحد، فإذا جاء إلى مجلس المشايخ يقعد في طرف الحلقة.... وكان حاله كذلك إلى أن قعد ذات يوم في المجلس، فلما أراد الشيخ القيام قام أبو مسور، فنحل العقد وانصب الشعير من طرف ثوبه على الحصير..." [59]، يبين لنا هذا النص الذي جاء في صورة طرفة مكابدة طلاب العلم داخل حلقات الدرس من أجل نيل أكبر قدر من العلم وملازمة شيوخهم في المجالس العلمية، كما يبين انتظام مجالس الشيوخ في حلقات دراسية، ويوضح منزلة علماء جبل نفوسة، حيث يسير إليهم الكثير من طلاب العلم من خارج الجبل.

وفي العهد الرستمي انتقل العديد من رجال العلم النفوسيين إلى عاصمة الإمامة تاهرت للتعلم على أيدي شيوخ العلم هناك، فقد ذكرت المصادر سفر كل من سعد بن يونس ونفات بن نصر النفوسي للتعلم عند الإمام أفلح بن عبد الوهاب (211-258هـ / 826-871م)، وبعد تعلمهم عادوا إلى الجبل[60]، وتجدر الإشارة إلى أن حلقات العلم كانت سابقة لهؤلاء الشيوخ الذين عادوا إلى وطنهم جبل نفوسة، وشهدت مدينة شروس عديد الحلقات الدراسية، وكان أهل تمنكرت يجتمعون بشيخ أهل شروس كل يوم جمعة في مسجد اجلمم في قرية ويغو يتذاكرون ويتناقشون في أمر دينهم.

وإضافة إلى تعليم الدين حظيت حلقات الدرس بالمناظرة أو المناجزة في الاتجاهات الدينية، وهذا ما سجلته قرية دركل، إذ أن جماعة اجتمعوا فيها لطلب العلم والمناظرة، وفيهم أبو نصر التمصمصي، نفات بن نصر، عمروس بن فتح، مهدي النفوسي، إذ أبانت هذه الحلقة والمجلس العلمي عدم قدرة هذا الجمع على اللحاق بنفات فرج بن نصر في حل المسائل الدينية [61].

وفي العادة ما كانت هذه الحلقات ماتتم في المساجد المنتشرة في الجبل، إذ حرص العلماء والمشايخ على بنائها وتعميرها، وتتحدث المصادر عن تعداد المساجد والمصالى عند شيوخ نفوسة، فهذا أبو المهاصر له ثلاث مساجد وعدد من المصالى، وأن الشيخ أبو المنيب محمد بن يأنس كان له سبعة مساجد وعدد من المصالى بعضها في الجبل وبعضها خارجه.

وفي حلقة الدرس، هنالك من المصادر من يشير إلى أن الإمام عبد الوهاب الرستمي بقي سبع سنوات يعلم النفوسيين مسائل الصلاة بقرية ميري ببني زمور (الرجبان)، وانقضت المدة المذكورة دون أن يكمل المسائل الخاصة بالصلاة [62]، وتتحدث بعض الروايات عن قيام بعض شيوخ العلم وعوام الناس في جبل نفوسة بالانتقال من قرية إلى أخرى، لغرض المجالس والتزاور خاصة في يوم الجمعة، وقد وصف الشماخي ذلك

(59) المصدر نفسه، ص 165.

(60) الشماخي، السير ج2، طبعة حجرية مخطوطة، ص 314 – علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص 148.

التنقل بقوله: " يختلفون بين سائر وراجع مثل النمل وتبيض الجبال من كثرتهم "[63].

وكانوا هؤلاء الشيوخ يحثون الطلبة على التعلم والفقه في الدين، فهذا الشيخ أبا خليل صال الدر كلي أحد علماء الطبقة الخامسة في القرن الثالث الهجري، كان يخبر تلاميذه بضرورة المواظبة على حضور حلقات الدرس والمجالس العلمية فيقول: "سيروا إلى الحلقة واقصدوها حينما كانت يا كسالى، فإن رجلاً قد سار من الجبل إلى فزان وإلى غدامس وإلى الساحل رغبة في الحلقة وفيما يستفيد[64]، وضمت حلقات الدرس شيوخ علم من غير نفوسة عملوا على إقامة الحلقات الدراسية، فهذا السمح بن الأعلى أبي الخطاب المعافري ينظم حلقة للدرس والعلم في جبل نفوسة وبالتحديد في قرية تيمتي[65]، التي نزل بها مرافقاً ووزيراً للإمام عبد الوهاب لمدة سبع سنوات.

ومن العلماء الذين كانت لهم حلقات دروس ومجالس علم نجد أبو حسان خيران بن ميلال الفرسطائي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، كان ينتقل بين المنازل لتعليم الدين غير مبالي بغيابه عن أهله، وكانت مجالسه تحضرها النساء والعجائز، وتذكر الكتب الإباضية عدد من شيوخ العلم الذين كان لهم الأثر في إقامة حلقات الدرس ونشر العلم منهم: جواد بن بار أواخر القرن الثالث الهجري والذي تتلمذ على يده العلامة أبو مسور يسجاين يوجين اليهرسني[66].

هكذا بلغ شيوخ نفوسة درجة متقدمة في ميدان المجالس وحل المسائل العلمية، فهذا فرج بن نصر نفات أحد أعلام نفوسة الذين استطاعوا الوصول إلى مركز السلطة في بغداد، وبفضل دهائه وذكائه في حل المسائل العلمية وسط مجلس الخليفة وعلمائه استطاع أن ينتزع حق نسخ ديوان جابر بن زيد بعد أن أذن له الخليفة، وكان هذا في منتصف القرن الثالث الهجري [67].

ومن حلقات الدرس التي نظمت في جبل نفوسة مجلس الذكر عند أم الخطاب إحدى العالمات المشهورات في الجبل في قرية أغرم ينان [68].

وأورد الشماخي في حديثه عن أبي زكريا يقول إنه كان يحضر رفقة أبي مهاصر وابومرداس مجلس الذكر عند أم الخطاب، ومن مراكز العلم في جبل نفوسة خزانة قصر ولِم للكتب، إذ يشير الشماخي إلى أن وارسفلاس بن مهدي مكث فيها أثنى عشر سنة يدرس العلم [69]، هكذا كانت مجالس الذكر وحلقات الدرس تنتشر في عديد المدن والقرى في جبل نفوسة، حيث أسهمت في رقي وازدهار الحياة الفكرية.

الخاتمة ونتائج البحث:

(63) ينظر السير، ص301.

(64) الدر جيني، الطبقات ج2، ص 301-299.

(65) تيمتي هي إحدى قرى حادو – لفينسكي، تسمية جبل نفوسة وقراهم، ص 110.

(66) محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الأباضية، قسم المغرب الإسلامي ج2، ص496.

من خلال ما تم عرضه في البحث توصلنا للعديد من النتائج أهمها:

1 – تعدد المراكز العلمية في جبل نفوسة أسهم وبشكل كبير في نشر قواعد ومبادئ الدين الإسلامي على أسس صحيحة كان له الأثر على المجتمع النفوسي في تطور الثقافة الإ سلامية.

2 – وجود مراكز علمية مختلفة من مدارس ومساجد ومكتبات، ادى الى بروز عدد من العلماء والفقهاء كان لهم الدور الكبير في ازدهار الحياة العلمية والفكرية والثقافية في المنطقة بشكل عام.

3 – تطور الحركة الفكرية والثقافية في جبل نفوسة نتاج لتعدد مراكز العلم والتعلم من مدارس ومساجد وما كان بها من حلقات للعلم والدرس، مما اسهم من رفع من كفاءة ثقافة المجتمع بشكل عام في جبل نفوسة.

4 – تعد مدرسة يفطمان من أول المدارس التي ظهرت في الجبل، بل أن هناك من يراها أولى المدارس في العالم الإسلامي باعتبارها عاصرت مدارس بلاد الرافدين (البصرة والكوفة).

5 – تتفق جل المصادر التاريخية بأن مراكز العلم والتعليم بجبل نفوسة كانت منارات لتدريس علوم الدين وعلوم اللغة بشكل عام.

6 – كان طلب العلم والتعلم شائعا في جبل نفوسة بين الرجال والنساء على السواء، وهو دليل على رغبة الأهالي في تطوير ثقافتهم الدينية للوقوف على أسس وقواعد الدين الإسلامي الحنيف الصحيحة.

7 – كان جبل نفوسة سباقا في أسلوب التعليم على شكل الرحلات العلمية وهو أسلوب من أساليب التربية الحديثة وهي طريقة مبنية على الاكتشاف والتشويق وربط الطبيعة بما جاء في التعاليم الإسلامية.

8 – أسهمت المرأة في الحياة العلمية، وذلك بحضور حلقات الدرس والمشاركة في الرواية والنقل والتدريس.

9 – لم تكن وظيفة المسجد تقتصر على العبادة والتعليم بل كان يستخدم لاجتماعات الشيوخ والعلماء لمناقشة كل الأمور ذات العلاقة بالمسائل الدينية والاجتماعية والسياسية.

10 – أوضحت الدراسة أن مراكز العلم من مدارس ومساجد كانت مهمتها الأولى هو نشر تعاليم الدين وتعليم الصبيان والفتيات مبادئ الإسلام وذلك من خلال عقد حلقات الدرس والذي عرف فيما بعد بنظام الحلقة الذي كان هو الأساس في انتشار الإسلام واثراء الحركة الفكرية والثقافية في كافة ربوع الجبل وبين مختلف فئات المجتمع النفوسي.

11 – اسهمت مراكز العلم في تخريج نخبة من العلماء النفوسيين وتبؤات الحركة العلمية والفكرية من خلالهم مكانة متقدمة في فهم العقائد الدينية واللغة العربية.